الهوية والمقاربة المنهجية في فترتي الحداثة وما بعد الحداثة.

دراسة مراجعة

* هالة عبد المنعم عبد المقصود
* الدارسة بمرحلة الدكتوراه، قسم التعبير المجسم، تخصص النحت، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.
البريد الإليكتروني: halamoniem25@gmail.com

تاريخ المقال:

- **تاريخ تسليم البحث الكامل للمجلة: 19 يونيو 2021**
- **تاريخ القرار الأول لهيئة التحرير:26 يونيو 2021**
- **تاريخ موافقة هيئة التحرير على النشر: 05 يوليو 2021**

الملخص:

تناول البحث الطبيعة المراوغة لمفهوم الهوية في فترة ما بعد الحداثة، وراجع آراء الفلاسفة والمفكرين وعلماء الاجتماع حول مفهومها، وقد تبين للباحثة أن الجدل القائم بين الثوابت والمتغيرات لم يحسم بعد، رغم أن إنسان ما بعد الحداثة حاول التخلص من ثوابته الحضارية والفكرية انتصارا لفرديته، وفي إطار الوصول إلى إجراءات منهجية يمكن بواسطتها دراسة موضوعها في الفنون المختلفة وفق البحث بين صيغة كلود دوبار الابتكارية التي رأى فيها أن الهوية تعمل وفق قانونين معا السيرورات طويلة الأمد (الحضارية والفكرية والدينية) والشكل السردي الفرداني وصيغة برادلي التي أرجعت كل أنشطة الهوية التي تقاوم الثوابت إلى مبدأ الإحساس بعدم المساواة.

الكلمات المفتاحية: الهوية، ما بعد الحداثة، كلود دوبار، برادلي.

المقدمة

تمثل الهوية إحدى إشكاليات الفن والإنسان بوجه عام وبشكل خاص في عصر الحداثة وما بعد الحداثة، فهي وإن كانت مشكلة قديمة فقد تجددت مع التغيرات الكبرى التي شهدها العالم في الآونة الأخيرة مع بداية عصر الآلة وسيطرة الميديا ووسائل الاتصال الحديثة التي دخل بها العالم طورا جديدا من أطوار العولمة، الأمر الذي أدى إلى حالة من السيولة الثقافية والحضارية صارت فيها خصوصية الشعوب محل تهديد، وشهدت الفنون على أثر ذلك حالة كبيرة من حالات التداخل، مما جعل الفن نفسه مشتتا، والنوع الفني كالنحت والتصوير والجرافيك والسينما والمسرح والدراما والشعر والرواية .. إلخ واقعا تحت خطر التآكل؛ نظرا لما شهدته هذه الفنون من تحرر من المعايير الفنية الثابتة، وما يعرف الآن في الغرب بسقوط المعيارية، وما أعلنه منظرو هذه الفترة "كفرنسوا ليوتار" و"تيري إيجلتون" و"ستيفن كروك" وغيرهم من انتهاء السرديات الكبرى grand narratives كالتاريخ والدين والأيديولوجيا، وبداية عصر المدونات الصغرى الذاتية لكل إنسان سواء أكان فنانا أم غير فنان.

وفي ظل هذين المبدأين الكبيرين: سقوط المعيارية، وانتهاء السرديات الكبرى؛ فإن التغير قد أصبح هو السمة الأساسية المهيمنة على أداء الفنان وعلى أفكاره، ولذلك كان السؤال المهم هو: كيف عالج فنان ما بعد الحداثة قضية الهوية بعد تخليه عن الثوابت الفكرية والفنية؟ وهل يمكنه ذلك؟

وعلى الرغم من صعوبة وضع مفهوم محدد للهوية التي كادت تشعباتها تحير الباحثين في علم الاجتماع فإن دراستها أمر لا مفر منه، التشعبات التي تطرح زوايا مختلفة للدراسة: مثلا هل ندرس هوية الفنان؟ أم هوية الإنسان؟ أم هوية الفن؟ وإذا كانت هذه الزوايا جميعها حاضرة وتحدد المفهوم الخاص بالهوية، فإلى ماذا ينحاز الفنان، ينحاز للهوية أم يتخلى عنها لصالح الفن؟ وإلى أي مدى يؤثر ذلك على فكره الفني وطرق صياغته له، والمشكلة تزداد تعقيدا حين توضع في إطار العولمة التي شهدها عصر ما بعد الحداثة، الذي طرح مقولات وتصورات تنادي بإلغاء الحواجز والحدود الفاصلة بين الفنون والأجناس والأعراق وانتهاء فكرة النوع gender، فالقضية تعكس الصراع بين الفنان وثوابته سواء أكانت فنية أم فكرية، ولا تزال تعاني من تشابك كبير بين ما هو فردي وما هو جماعي.

قد يطرح السؤال نفسه هنا: هل استطاع فنان ما بعد الحداثة الذي تخلص من كل أشكال السيطرة، وبدا أنه قد أسقط المعيارية وتخلص من الأيديولوجية والدين والسياسة أن يحصل على حريته الكاملة وهو يحاول خلق هويته الذاتية الخالصة؟ وهل هناك تعارض بين التعبير عن الهوية الخالصة التي تعكس ذاتية الفنان وبين سبل وصوله للآخر البعيد؟ ويبدو أن الإجابة عن هذا السؤال تحمل من الالتباس والتداخل القدر ذاته الذي يطرحه السؤال.

وعلى الجانب الآخر من العالم في فنون الشرق الأقصى المتنوعة نجد أن الفنان الشرقي عبر عن حضارته وتاريخه وثقافته وجغرافياه، وأنه لم يحدث تعارض مخل بين ذلك وبين التمتع بالحرية الفنية الكاملة والتعبير عن الذات، بل إن هذا التمسك لم يمثل عائقا يحول دون تفاعله مع عصر الآلة والرقمنة وتكنولوجيا المعلومات، في حين وقع الفنان الغربي حيال تناوله لهذه الفنون في مأزق الاستخدام أو الاقتباس بتفريغ المفردات (التيمات) والرموز الفنية الشرقية من مضمونها الروحي وقطعها عن جذورها الحضارية في قطاع كبير من معالجاته، كما أشار إلى ذلك إدوارد سعيد: من أن الشرق ظل وجودا متخيلا من صنع المستشرقين من الفنانين والكتاب الغربيين لا يعكس حقيقته، وأن الأعمال الإبداعية التي قدموها "لا تزيد عن صور زائفة نمطية الأسلوب إلى حد بعيد أو بمحاكاة بالغة التكلف للشكل الذي كانوا يتخيلونه للواقع الحي في الشرق"، وهو من العوامل التي جعلت من هوية الفنون الغربية الحداثية وما بعد الحداثية هوية تشعبية وغير ثابته، ومن الحضارة الغربية حضارة دائمة التبدل والتغير.

وسوف يعرض هذا البحث تفصيلا لتطور مفهوم الهوية لدى اللغويين والمفكرين والفلاسفة الغربيين والعرب وما قدموه من صيغ متنوعة للمقاربة المنهجية لموضوع الهوية في العلوم الإنسانية والاجتماعية لأخلص من ذلك العرض إلى المشكلة والفجوة والمداخل المقترحة.

المنهجية:

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، وتتمثل منهجيته في تتبع تطور مفهوم الهوية ومقاربتها المنهجية في فترتي الحداثة وما بعد الحداثة من خلال عينة من الدراسات الغربية والعربية التي تناولت هذا الموضوع من الناحية اللغوية والفكرية والاجتماعية من خلال اتباع الإجراءات التالية:

- رصد مفهوم الهوية في فترتي الحداثة وما بعد الحداثة من خلال أبرز المؤلفات الغربية التي دارت حول هذا الموضوع مثل مؤلفات استيفن فروش وأليكس ميكاشيلي وريتشارد جينكيز

وزجمنت بومند وكلود دوبار وهاريت برادلي ومقترحات هؤلاء الكتاب في المقاربة المنهجية للهوية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

- رصد الفروق الدقيقة لاختلافات تعريف الهوية في فترتي الحداثة وما بعد الحداثة من خلال هذه المؤلفات
- مراجعة مؤلفات أهم الكتاب العرب الذين تناولوا موضوع الهوية بالدراسة والتحليل كإدوارد سعيد ومحمد عابد الجابري وحسن حنفي وعبد الوهاب المسيري ومنذر الكيلاني وغيرهم
- تحليل آراء الفريقين الغربي والعربي حول إمكانية مقاربة موضوع الهوية في دراسة الفن عموما والنحت بشكل خاص.

الدراسات المرتبطة:

وضح "ستيفن فروش"Stephen Frosh في كتابه "Identity1999" في مناقشته لعلاقة الهوية بالثقافة، وهو ما يمكن أن يصدق على الفن عموما: "أن الهوية إفراز من الثقافات ولكنها لا تتكون منها بتلك البساطة؛ فالنظرية الحديثة لعلم النفس وعلم الاجتماع تؤكد أن هوية الفرد هي في الحقيقة متعددة وربما سائلة، حيث إنها تتكون عبر التجربة وتترسخ برموز لغوية، والأفراد حين يطورون هوياتهم إنما ينجذبون إلى المعطيات الثقافية الموجودة في الشبكة الاجتماعية المباشرة لهم، وتلك الموجودة في المجتمع ككل".

ويرى إليكس ميكشيللي "أن الهوية مجموعة من السمات التي تسمح لنا بتعريف موضوع معين، وبناء على ذلك فإن التحديد الخارجي للهوية يكون بالبحث عن هذه السمات وتحديدها". وعلى الرغم من هذا الحسم في التعريف يعود مرة أخرى ليؤكد أن تحديد الهوية مسألة صعبة، خاصة إذا وضعت في الاعتبار الجوانب الداخلية للفاعل الاجتماعي، والسيكولوجية التي تحكم التصور.

ومع ذلك يحدد ميكشيللي "فئات" للعناصر المكونة للهوية ويحصرها في أربعة عناصر: عناصر مادية وفيزيائية، وعناصر تاريخية، وعناصر ثقافية نفسية، وعناصر نفسية اجتماعية:

العناصر المادية والفيزيائية: وتشمل الحيازات كالاسم والآلات والموضوعات والأموال والسكن والملابس، والقدرات كالقوة الاقتصادية والمالية والعقلية، والتنظيمات المادية كالتنظيم الإقليمي ونظام السكن ونظام الاتصالات الإنسانية، والانتماءات الفيزيائية كالانتماء الاجتماعي والتوزيعات الاجتماعية والسمات المورفولوجية الأخرى المميزة.

والعناصر التاريخية: وتشمل الأصول التاريخية: كالأسلاف والولادة والاسم والمبدعين، والاتحاد والقرابة والخرافات الخاصة بالتكوين والأبطال الأوائل، والأحداث التاريخية الهامة: كالمراحل الهامة في التطور والتحولات الأساسية والآثار الفارقة، والتربية والتنشئة الاجتماعية، والآثار التاريخية: كالعقائد والعادات والتقاليد والعقد الناشئة عن عملية التطبيع أو القوانين والمعايير التي وجدت في المرحلة الماضية.

والعناصر الثقافية النفسية: كالنظام الثقافي: من منطلقات ثقافية وعقائد وأديان ورموز ثقافية وأيديولوجيا ونظام القيم الثقافية ثم أشكال التعبير المختلفة كالفن والأدب، والعناصر العقلية: كالنظرة إلى العالم ونقاط التقاطع الثقافية والاتجاهات المغلقة والمعايير الجمعية والعادات الاجتماعية، والنظام المعرفي: كالسمات النفسية الخاصة، واتجاهات نظام القيم.

وأخيرا: العناصر النفسية الاجتماعية: كالأسس الاجتماعية: الاسم والمركز والعمر والجنس والمهنة والسلطة والواجبات والأدوار الاجتماعية والنشاطات والانتماءات الاجتماعية، والقيم الاجتماعية: كالكفاءة والنوعية والتقديرات المختلفة، والقدرات الخاصة بالمستقبل: كالقدرة والإمكانية والإثارة الاستراتيجية والتكيف ونمط السلوك"

كما يحدد "محمد عابد الجابري" ثلاثة مستويات للهوية الثقافية للإنسان، وهي الهوية الفردية الشخصية والهوية الجمعوية (الجماعة المحلية) والهوية الوطنية أو القومية، والعلاقة بين هذه المستويات ليست ثابتة، بل هي في مد وجزر دائمين يتغير مدى كل منهما اتساعًا وضيقًا بحسب الظروف وأنواع الصراع والتضامن واللاتضامن التي تحركها المصالح الفردية والجمعوية والوطنية القومية.

ويقول "منذر الكيلاني": أن نرفض واقع أن الآخر حاضر في ذاتنا، وأن الهوية تنبني على تفاعل الاثنين (الذات والآخر) يؤدي بنا إلى عدم تقييم البعد الإبستمولوجي (المعرفي) الذي تقوم عليه مقاربة العلوم الاجتماعية، وتتمثل هذه المقاربة في الأخذ بالمرجعية الكونية والبحث كيف أن نحقق داخلها تمفصل العلاقة التراتبية بين الذات والآخر.

هذا على مستوى المفهوم العام للهوية، وفيما يلي عرض تحليلي لأهم نظريات الهوية عند علماء الاجتماع الغربيين:

التفاعلية الرمزية للهوية عند ريتشارد جنكينز "Jenkins Richard":

يتبنى جينكينز فكرة التفاعلية الرمزية أي أن الهوية هي نتاج لتفاعل الفرد مع المجتمع كما ذكر "هول"، وأن ما يميز كل فرد من ميزات تخصه هي في الحقيقة يشترك فيها المجتمع نتيجة لانتماء الفرد له، كما أنه يرى أن الهوية تتكون ليس فقط من انطباع الفرد عن نفسه وإنما من انطباعه عن الآخر وانطباع الآخر عنه، هذا التفاعل المجتمعي هو ما يؤدي إلى بناء الطبقات المجتمعية داخل المجتمع الواحد والحفاظ على حدودها وقوتها داخل مجتمعها وبالنسبة للمجتمعات الأخرى، فمثلا كما ذكر جينكينز حركات تحرير الزنوج الأمريكان، وتحرير المرأة.. وغيرها لم تكن أمثلة تعبر عن صراع أفراد للتعبير عن هويتهم وإنما هو تحرك جمعي مجتمعي للحصول على هوية اجتماعية أفضل للجماعة كلها.

تحولات الهوية عند ستيوارت هولStuart Hall:

تتبع هول التغيرات المجتمعية التي طالما كانت تلحق بمفهوم الهوية الثقافية كما أطلق عليها، وكان لها الأثر في أن تهيمن فكرة الهوية على المجتمع، وقسمها إلي ثلاث مراحل زمنية أخذت تتباين من خلالها أفكار الهوية:

- مرحلة ما قبل الحداثة: أخذت فيها الهوية الفردية المحور الجوهري، تتحدد عن طريق وجود الفرد وموقعه في المجتمع ضمن تراتبية الدين والعقيدة والتسلسل الاجتماعي دون أي مائزة شخصية للفرد، ومع دخول المجتمعات فترة الحداثة ما بين القرنين السادس والثامن عشر تغير مفهوم الهوية إلى ما أطلق عليه **الهوية التنويرية** (أو الذات التنويرية) التي تتمتع بهوية خاصة متميزة قائمة بذاتها لا تتبع أي من التسلسلات المجتمعية.
- مرحلة الحداثة (القرن التاسع عشر): تطور مفهوم الهوية كنتيجة لتطور المجتمع عبر دخول الثورة الصناعية وهي ما أطلق عليها **الهوية المجتمعية** (أو الذات المجتمعية): لم يعد الفرد منفصلا عن غيره من أفراد المجتمع، بل إنه ارتبط بفكرة **التفاعلية الرمزية** بينه وبين الآخر، وأنه يكتسب ميزاته من خلال نظرته تجاه الآخرين ونظرة الآخرين له، وهي ميزة غير خالصة للفرد لأنها موصولة بالمجتمع، وعليه فوجود هذه الهويات داخل الطبقات المختلفة للمجتمع الواحد هو بمثابة هويات فرعية تعزز من وجود طبقات بعينها (الهوية العليا Master Identity) وتدمجها داخل المجتمع ككل، وهو ما ساعد على وضوح الهوية وإمكانية التعليل والتنبؤ بوجودها.
- مرحلة ما بعد الحداثة: لم تعد نظرية التفاعل الرمزي للهوية مناسبة مع هذا التحول الكبير، فقد أصبح المجتمع الواحد يمتلك هويات متعددة مختلفة عن بعضها البعض (هويات جزئية Fragmented Identities)، وهي ما أطلق عليها **هوية الذات ما بعد الحداثية** التي نتجت عن العولمة والتطور في طرق التواصل والاتصال، فلم تعد الهويات مغلقة في مكانها بل أصبح بإمكان الفرد اختيار ما يريد من هويات أخرى من أماكن أخرى.

وحاول هول تتبع أثر العولمة على تشكيل الهويات، ففي المقابل واجهت المجتمعات الحديثة خطر العولمة بالتأكيد على أهمية الأمه (Nation) والبحث عن القومية بين الطبقات والتوجه نحو الإثنية المطلقة للحفاظ على هويتها، أو الاستجابة للتمييز العرقي عند بعض الأقليات، أو تشكيل هويات جديدة أو هجينة.

الهوية في ظل إستراتيجيات ما بعد الحداثة عند زجمنت بومان Bauman Zygmunt:

حاول بومان التعمق أكثر من هول في تبني رؤية ما بعد الحداثة للهوية، وأنه لم يعد لها أسس أو قواعد ثابتة، فالأفراد يستطيعون تغيير هويتهم متى أرادوا، على عكس ما كانت عليه في فترة الحداثة، والتي كانت تشبه الرحلات الدينية تسير إلى الأمام نحو تحقيق أهداف العمل، وينظرون إلى الخلف فقط لفهم مقدار المسافة التي قطعوها منذ بداية تاريخهم المهني، وهذا ما لم يعد موجودا في الوقت المعاصر، كما أنه أكد على فكرة انبتات إنسان ما بعد الحداثة بعيدا تماما عن فكرة الهوية الدائمة؛ اتكاء على ما أوجده هذا الإنسان من إستراتيجيات جديدة للحياة، وعلى سبيل المثال- وتوضيحا لهذا الأمر- يرى بومان في كتابه "من الحاج إلى السائح" From Pilgrim to Tourist أنه في ضوء حالة عدم التأكد التي يعيشها إنسان ما بعد الحداثة نتيجة للتغيرات السريعة التي تشهدها المجتمعات توجد أربع إستراتيجيات حياة لما بعد الحداثة لا يمكن أن تخلق هوية مستقرة وإنما هويات متغايرة تتبدل حسب الرغبات، هذه الإستراتيجيات هي:

- **إستراتيجية المتجول** stroller: في عصر الميديا والتليفزيون متعدد القنوات، والإنترنت؛ حيث تتأسس الهوية طبقا للسلعة والرغبة "حسب الهوى" ويمكن تغييرها في اليوم التالي، المتجول الذي يتجول وهو جالس على مقعده مستريحا لا

يبرحه، بينما يمسك في يده بالرموت أو الماوس أو من خلال نقرة بسيطة على الآي باد أو التاب.

- **إستراتيجية المتشرد** vagabond: الذي لا يمكن التنبؤ بسلوكه، وهو غريب ليس له مستقر في العالم، وفي عالم ما بعد الحداثة أصبح هناك معنى للتجوال من هوية إلى أخرى دون الاستقرار في أي منها.
- **إستراتيجية السائح**: الذي يسافر بهدف الحصول على تجربة جديدة، وفي مجتمعات ما بعد الحداثة الناس لا يجهدون أنفسهم من أجل خلق هوية معينة، فالحياة تتطلب محاولة اختبار هويات جديدة والبحث دائما عن أشياء جديدة.
- **إستراتيجية اللاعب**: وتتطلب التعامل مع الحياة على أنها لعبة، فأنت ربحت أو خسرت سوف تنسى آخر لعبة وتنتقل إلى لعبة أخرى، ونفس الشيء في مجتمعات ما بعد الحداثة، رغم أن الفرد يحاول لعب لعبة الهوية بشكل جيد لكن ذلك لن يمنعه من تغيير اللعبة كي يلعب ضمن هوية جديدة.

الهوية السردية (الشكل التطويعي) عند كلود دوبار Claude Dubar:

يرى كلود دوبار وفق تصورات الفكر الفلسفي الأولى في مجال تحديد الهوية والذي يعمد إلى تعبير "**أشكال الهوية**" وما به من تفسيرات بالغة التنوع -أنه يمكن حصر ما يدور حول إشكالية المفهوم في نمطين كبيرين هما: الموقف الجوهراني والموقف الاسماني (الوجودي)، الأول: يؤمن بوجود حقائق جوهرية وماهيات ثابتة يمكن على أساسها تصنيف الموجودات إلى فئات "تضم كل الكائنات التجريبية ذات الجوهر المتماثل eidos"، هذا التعريف أيضًا يضم القراءة الجوهرية للفرد ذاته وانتماءاته الموروثة المرتبطة بالولادة وما بعدها وفق وضعه الأسري والاجتماعي، وهو ما يبقى ملاصقًا له في حياته ومطابقًا لوجوده الجوهري. والثاني: يؤكد على فكرة التغير تأثرا بالعبارتين المنسوبتين لهراقليطس Heraclite: "لا يمكن للمرء أن يسبح مرتين في النهر نفسه"، ومن ثم "لا يوجد جوهر أبدي، بل كل شيء يخضع للتغير"، وهذا الموقف كما يتبناه دوبار يرفض وجود انتماءات جوهرية بذاتها، بل اختلافات نوعية ودائمة بين الأفراد تتبدل على المدى التاريخي للشخص والجماعة المنتمي إليها، والعلاقة بين هاتين السيرورتين: هوية الذات وهوية الآخر -هي التي تحدد أشكال الهوية، وهي رؤية منهجية جديدة للشكل الأكثر حداثة للهوية أو ما يطلق عليه "بناء **الهوية التطويعية**" التي لها القدرة على التبدل والتغير وأحيانا الزوال، غير أنها قادرة على تطويع الهوية الشخصية ضمن التجمعات الأسرية والدينية والسياسية.. إلخ، أي أنها تنتج هويات تعبر عن خيارات شخصية لكنها تتجاوز الموروث التاريخي للهويات التقليدية الثابتة عبر الزمان والمكان.

وفي هذا الإطار فإن هوية ما بعد الحداثة والتي أطلق عليها دوبار "الشكل السردي الفرداني" يصعب فصلها عن أشكال السيطرة الطبقية، وعن أشكال "الهوية الجماعية" الأخرى التي يسميها "السيرورات الثلاث الطويلة الأمد":السيرورة الحضارية، والسيرورة القومية، والسيرورة السياسية (أو الحزبية)، وهي الأنماط التاريخية الحاكمة التي تمارس فعلها على الأفراد من أجل تحقيق التشابه والمماثلة بين أفراد مجموعة من البشر وتمييزهم عن غيرهم من المجموعات الأخرى، تلك الأنماط التي تتمثل في (اللغة، والجغرافيا والمعتقدات والتقاليد والعرق والجنس والتوجه السياسي).

ويخلص كلود دوبار إلى نتيجة تجمع بين الأمرين فيقول: "ليست الهوية ما يبقى بالضرورة متماثلا، بل نتيجة مماثلة جائزة، إنها نتيجة عملية لغوية مزدوجة من: **المفاضلة والتعميم**، المفاضلة التي تهدف لتعريف الفارق بما يحقق فرادة أمر ما أو شخص ما مقارنة بشخص آخر أو أمر آخر؛ أي أن الهوية هي الاختلاف. والتعميم بوصفه العملية التي تحاول تعريف المشترك في فئة من العناصر المختلفة كليا عن فئة أخرى؛ أي أن الهوية هي الانتماء المشترك. هاتان العمليتان أساس **مفارقة الهوية**: أي أن الفريد هو المتشارك، ولا يمكن عرض هذه المفارقة إن لم نأخذ في الاعتبار العنصر المشترك للعمليتين: مماثلة الآخر والمماثلة عبر الآخر." ، الأمر الذي يعكس الطبيعة الديناميكية للهوية عموما ليس فقط هوية ما بعد الحداثة.

الطبيعة الديناميكية عند هارييت برادلي Harriet Bradley:

وتوسيعا لصيغة **كلود دوبار التوفيقية** السابق ذكرها بين الشكل السردي الفرداني للهوية أو الهوية التطويعية وبين الهوية الجماعية أو السيرورات طويلة الأمد، تقدم "برادلي" تصورا أكثر وضوحا يربط بين اتجاهات الحداثة الكلاسيكية وما بعد الحداثة وما بعد البنيوية، حيث ترد كل قضايا الهوية إلى إحساس **بعدم المساواة** يسود بين الأفراد والأقليات والمجتمعات والدول، وتحدد أربعة مصادر تفاقم من الإحساس بعدم المساواة هي الطبقة والجنس والعرق والإثنية، وتؤكد أنه مع إمكانية دراسة كل مصدر من هذه المصادر على حدة وبشكل منفصل فلا يمكن

إغفال فكرة أن هذه المصادر الأربعة في الواقع العملي تتفاعل مع بعضها البعض **بطريقة ديناميكية**، لأنها ترى العالم كله عبارة عن حالة نقاش كلية للمعاني والأفكار دون تغليب معنى على معنى أو فكرة على فكرة؛ فتقول: "سيكون أمرا جميلا لو أن العالم الاجتماعي ليس أكثر من نقاش للمعاني لكي يصبح بالإمكان تغيير العالم بمجرد إعادة تسميته".

ولا شك أن ما قدمه اللغويون والمفكرون من محاولات جادة حول مفهوم الهوية من كونها تدور حول ما يميز الشخصية سواء أكانت فردية أم جماعية وما يجعلها واعية بذاتها غير معزولة عن سياقها أو عن الآخر، وما قدمه أيضا علماء الاجتماع والأنثروبولوجيون من مقاربات نظرية كشفت عن الاشتباك القائم بين أطراف الثنائيات الضدية المختلفة: الذات والموضوع، والأنا والنحن، ونحن والآخر، والطبيعة والثقافة، والحرية والالتزام ..إلخ - يعكس بوضوح الأزمة الوجودية لقضية الهوية التي ازدادت تأزما في فترة ما بعد الحداثة وقد بات يعاني إنسانها وفنانوها من الاستلاب والاغتراب والتشظي، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: من أي نقطه إذن يمكن أن نتعرف على أزمات الهوية؟ فنحن إذا تتبعنا تفسيرات علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا نجد أننا بصدد **أزمات تَحَقُّق** على المستوى الفردي والجماعي، بداية من وجود الفرد في النواة (الأسرة)، وما يتبع ذلك من وجوده داخل المؤسسة التعليمية، ثم حقل العمل والمؤسسات السياسية التابع لها، وكل ما يحيط به من ثقافات وتقاليد وأفكار دينية وعقائدية تتحكم في مسار علاقته بجنسه وبالجنس الآخر، والطبقات الأعلى أو الأدنى إلى آخر ذلك من أنماط وسياقات محيطة، وهذا الذي يطلق عليه عدم التحقق ما هو إلا نتاج لحالة الصراع والتقلقل وعدم الاستقرار في أي من الأنساق السابقة.

تحليل الفجوة:

بمراجعة ما كتب حول موضوع الهوية والمقاربة المنهجية عند علماء اللغة والاجتماع والفلسفة بدا للباحثة أن الجدل بين ثوابت الهوية الدينية والقومية والعرقية والجغرافية والمتغيرات التي طرأت على المجتمعات سواء أكانت المجتمعات الشرقية أم الغربية لم يحسم لصالح أي من الطرفين، فإذا كانت الثوابت تفرض الهيمنة على المجتمعات حتى تحافظ على تماسكها فإن التغيرات قوت من النزعة الفردية وإعلاء قيمة الحرية في ظل عالم تسوده الآن تكنولوجيا المعلومات، وبدا أيضا أن المقاربة المنهجية لهذا الموضوع في العلوم الإنسانية ودراسة الفنون بشكل خاص تعاني من التشتت ذاته بين الثوابت والمتغيرات، ولذلك كان السؤال هو كيف يتناول الباحثون هذا الموضوع لدراسة الفن عموما والنحت بوجه خاص في فترتي الحداثة وما بعد الحداثة؟

المداخل المقترحة:

يمكن دراسة الهوية في نحت ما بعد الحداثة بتنبني:

- الصيغة التوفيقية لـ"كلود دوبار" بين السيرورات الثلاثة طويلة الأمد (الحضارة والقومية والسياسة)، والشكل السردي الفرداني، فكلاهما فاعل في تعبير الفنان عن هويته في فترتي الحداثة وما بعد الحداثة.
- ما قدمته "برادلي" من وجهة نظر أخرى من أن هوية ما بعد الحداثة ذات طبيعة ديناميكية، ويمكن دراستها على أساس أن التعبير عنها (في الفنون المختلفة) وشتى أنواع المجالات الأخرى يرجع إلى منطلق **الإحساس بعدم المساواة**: الطبقية والعرقية والجنسية والإثنية، فطبقة الفنان الاجتماعية تؤثر على أدائه، وأحيانا توجهه، وتحكم تيماته، وكذلك عرقه، وجنسه سواء أكان ذكرا أم أنثى، وانتماؤه الإثني (يهودي أو مسيحي أو مسلم)، كل نقطة من هذه النقاط الأربعة يمكن أن تكون منطلقا لدراسة الهوية في العمل الفني، لكن بشرط عدم عزلها عن النقاط الأخرى، لأن هذه النقاط قد تتفاعل كلها مع بعضها البعض، فنجد في العمل الفني أثر الطبقة إلى جانب أثر العرق، أو الإثنية إلى جانب الجنس، وهلم جرا.

المصادر والمراجع:

أولا: المراجع العربية:

1. إبراهيم مصطفى وآخرون (1960): المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
2. إليكس ميكشيللي (1993) : الهوية، ترجمة د. علي وطفي، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق.
3. دوبار، كلود (2008) : أزمة الهوية (تفسير تحول)، ترجمة رندة بعث، لبنان، المكتبة الشرقية ش. م. ل، ط 1.
4. عبدالله ابراهيم(2011): الكتابة والمنفى (ادونيس، واسيني الأعرج، وآخرون)، دار الأمان، الرباط ، ط1.
5. إدوارد سعيد (2006): الاستشراق، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.

6.أميرة كشغري(2006): الهوية الثقافية بين الخصوصية والتبعية (مقاربة معرفية- اجتماعية)، ورقة عمل مقدمة في برنامج الفعاليات الثقافية المصاحبة لمعرض الرياض الدولي للكتاب، 22/فبراير-3/مارس/2006.

7.جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، ج2،م س ذ .

8.حسن حنفي(2012):الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1.

9.صلاح رزق(2014): الشعر وقضايا الهوية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1.

10. صموئيل ب. هنتنغتون(2005): من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ترجمة: حسام الدين خضور، دار الرأي للنشر، دمشق، ط 1.

11. محمد عابد الجابري(2000): العولمة والهوية الثقافية (عشر أطروحات)، أسامة أمين الخولي، ندوة (العرب والعولمة)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط 3، ص (297-299).

12. هارلمبس وهولبورن (2010) : سوشيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة حاتم حميد حسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

13. عز الدين مناصرة(2004): الهويات والتعددية اللغوية (قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن)، دار مجدلاوي للطباعة والنشر، عمان- الأردن، ط 1، ص(24).

14. فتحي المسكيني(2001): الهوية والزمان، تأويلات فينومينولوجية لمسألة النحن، دار الطليعة، بيروت، ص.

15. منذر الكيلاني(1999): صورة الآخر (العرب ناظراً ومنظوراً إليه) مجموعة باحثين ، مبحث: الاستشراق والاستغراب (اختراع الآخر في الخطاب الانثروبولوجي)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1.

16. هارلمبس وهولبورن (2010) : سوشيولوجيا الثقافة والهوية.

المراجع الأجنبية:

17. Jenkins, R, (1996), Social Identity, Routledge, London.
18. Bradley, H(1997): Fractured Identity: changing patterns of Inquality,Polity Press,Cambridge.
19. Peter Beger et Thomas Luckmann(1959): La construction social, de la realite,paris.
20. Anselm Strauss(1990): Miroirs et masques, Paris, A-M. Metailie.
21. Bauman, Z.(1996), From pilgrim to tourist, or a Short History of Identity, in Hall & Paul du Gay(eds).-Hall, S. (1992), "The Question of Cultural Identity", in Hall et al.(eds).

المواقع الإلكترونية:

22. https://translate.google.com/#en/ar/an%20equation%20that%20is%20satisfied%20for%20all%20values%20of%20the%20symbol
23. Oxford English Dictionary, Eleventh Impression 2004, Oxford University Press, New York, P.377.
24. The Oxford English Dictionary, Volume V, 1970, Oxford University Press, Ely House, London, W.I, Clarendon Press, P.951